الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز ومشروعه بالإنسحاب من الأندلس
(99 - 101 هـ) - (717 - 720 م)

د. راوية عبدالحميد شافع*

المستخلص

تنبأ الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بنهاية الأندلس، والفتح ما زال في بداياته، فقد رأى أن الغرب الإسلامي، وبخاصة الأندلس تفتقد لبعض الثوابت التى تحفظ الإسلام والمسلمين، حبذا فى هذا القطر البعيد المنعزل عن لحمة الدولة الإسلامية آنذاك شرقا وغربا، وتوقع بثاقب بصره وبصيرته ما حدث فعليا بعد سقوط الأندلس، فقد حكم مدته القصيرة بنفس الرؤيا والمنطق الذي حكم به جده الفاروق عمر بن الخطاب، وسار على نفس نهجه، بداية من البدأ بنفسه كقدوة وحاكم لأكبر قوة للدولة الإسلامية في حينها، وقد صدقت فراسته واجتهاده في التعامل مع المسلمين، واستطاع في وقت قصير أن يفعل ما لم يفعله غيره في سنوات طوال، حيث وضع نصب عينيه حياة المسلمين كأهم شيىء في الدولة يجب أن يحافظ عليه، ولم يألوا بالا كثيرا لحيازة الأراضى الشاسعة وضمها لدولة الإسلام، فالبشر لديه أهم من الحجر ومن الأرض، لذلك نراه يداوى القلوب بالإسلام أولا ثم بمبادئه السامية من العدل والمساواة، وهو يعرف جيدا أن كل الأمور سوف تسير بعد ذلك في طريقها الصحيح، حيث استطاع في خلال عام واحد فقط أن يعيد صياغة الغرب الإسلامي كله بشقيه المغرب والأندلس، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وهى معجزة بكل المقاييس العلمية لم يسبقه اليها أحد ممن سبقوه أو جاءوا بعده.

الكلمات المفتاحية :- الخليفة الأموي – عمر بن عبدالعزيز – الإنسحاب من الأندلس

The Umayyad Caliph Omar bin Abdulaziz and his project to withdraw from Andalusia

Dr. Rawya Abd El Hamed SHafea

Abstract

The Umayyad Caliph Omar bin Abdulaziz predicted the end of Andalusia, and the conquest is still in its beginnings, as he saw that the Islamic West, especially Andalusia, lacks some of the constants that preserve Islam and Muslims, preferring in this distant country isolated from the cohesion of the Islamic state at the time, east and west, and he expected his eyes and insights into what Actually happened after the fall of Andalusia, for its short period was ruled by the same vision and logic that his grandfather al-Faruq Umar ibn al-Khattab ruled, and he followed the same approach, beginning with himself as an example and ruler of the greatest power of the Islamic state at the time, and his virility did not disappear and he was able in a short time to do what No one else had done it for many years.,

He set his sights on the lives of Muslims as the most important thing to be feared, and they did not give much attention to the possession of vast lands and their annexation to the state of Islam, for humans are more important to him than stone and earth, so we see him heal hearts first with Islam and then with his lofty principles of justice and equality, and he knows very well that all matters will It then proceeds on its right path, as it was able, within only one year, to reformulate the entire Islamic West, in its two parts, Morocco and Andalusia, politically, socially and economically.

Keywords :- The Umayyad Caliph – Omar Bin Abd El Aziz – Withdrawal From Andalusia .

◆ أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية- قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حلوان.

المقدمة

يبدأ هذا الموضوع بسؤال كبير يطرح نفسه على بساط البحث، لماذا فكر الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز(1) بالإنسحاب من الأندلس، والفتح الإسلامي ما زال في بداياته ولم تتضح الصورة بالشكل الذي عرفناه في العصور اللاحقة، فالمسلمون دخلوا هذا القطر الجديد منذ حوالي سبع سنوات، وبدأوا عصرا جديدا عرف تاريخيا بعصر الولاة، فما هي الأسباب التي دعت عمر لأن يتفرد بهذه الفكرة الجديدة والفريدة والجريئة في آن واحد، حيث لم يسبقه أو يتبعه من فكر في هذه الفكرة الغريبة، وفي تلك الفترة المبكرة جدا، فلا بد أن هناك أسبابا رأها عمر بن عبدالعزيز جديرة بترك هذه البلاد والإنسحاب منها، وهو ما لم يحدث على الإطلاق مع أي قطر بعد أم أصبح إسلاميا، في شرق العالم ومغربه آنذاك.

والأهم من ذلك أن الأندلس قياسا بالأقطار الإسلامية الأخري التي تم فتحها في وقت قريب لتلك الحقبة هو قطرا غنيا، تتنوع موارده الاقتصادية، فما هو الخطر الذي رآه عمر، ولم يره غيره في الأندلس جعله يفكر في هذه الخطوة الغريبة دون أن يتردد في العواقب والنتائج.

وقبل الاسترسال في طرح ما جاء في المصادر الإسلامية حول هذه الفكرة ومناقشتها، نتعجب من بعد نظر عمر بن عبدالعزيز، حول رؤيته بل نبؤته بالانسحاب من الأندلس، والتي تحققت بعد ثمانية قرون كاملة، من طرح هذه الفكرة، ولكن بالطرد المذل وبأبشع أنواع التعذيب، وبتصفية لحسابات ثمان قرون كاملة، لم يجد فيها المسلمون ذرة من رحمة في قلوب من عاشوا معهم وقاسموهم هذه الأرض.

كانت تلك المقدمة هي نقطة الارتكاز الذي انطلق منها البحث لتناول هذه الفكرة في محاولة للخوض في عقل وفكر هذا الخليفة الأموي الذي لم يتكرر في تاريخنا الإسلامي، رغم قصر الفترة التاريخية التي حكمها.

ورغم شح المادة العلمية لهذه الفكرة الا أنها كانت جديرة بالبحث عنها في بطون المصادر والمراجع، التي تناولتها بدورها بإختصار شديد، لعدة أسباب أهما قصر الفترة التاريخية التي حكمها عمر نفسه، والأندلس نفسها التي أراد عمر التخلي عنها، هو نفسه لم يرها ولم يعاينها رؤى العين، لربما كان له رأي أخر مخالف لرأيه الذي ذكرناه.

وقد أشارت العديد من الدراسات إشارات عابرة، إلى هذا الموضوع ولكن في عجالة سريعة وبدون التوسع في مناقشة الموضوع من كافة جوانبه، وكان معظم ما تم ذكره قد جاء في سياق الحديث عن فترة حكم عمر ووالية علي الأندلس، السمح بن مالك الخولاني (2)، وهو ما دفعنا الى محاولة البحث والتقصي والاستنتاج، حول الملابسات التي أحاطت بهذا العصر بصورة عامة، وبخاصة في الغرب الإسلامي الكبير الذي يشمل بلاد المغرب والأندلس، ولماذا نبتت هذه الفكرة الغريبة في عقل الخليفة عمر بن عبدالعزيز.

وكان أول من أشار الى هذه الفكرة حول الانسحاب من الأندلس، علي يد عمر بن عبدالعزيز عقب الفتح الاسلامي، المؤرخ الفرنسي/ ليفي بروفنسال، ولكن إشارته كانت عابرة وسريعة (3)، ولم يوضح فيها الاسباب التي سوف نناقشها من خلال البحث، على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

أما التناول الثاني للموضوع والذي كان أكثر عمقا من تناول بروفنسال، فقد تناوله الأستاذ الدكتور / حسين مؤنس، في كتابه فجر الأندلس، وقد تناول د/ مؤنس هذا الموضوع على ثلاث محاور، الأول تناول فيه ظروف وملابسات الفتح، والثاني تناول فيه هجرة العرب بكل طوائفهم ومشاكلهم وعصبياتهم الي الأندلس، أما المحور الثالث، وهو أهم المحاور الثلاثة فكان عن عدم الدقة والجدية في التنظيم المالي والسياسي للأندلس(4).

وقد قدم د/ مؤنس الجانب الاقتصادي على الجانب السياسي، لما له من أثر كبير في المشاكل التي نتجت عن تهميش هذا الجانب المهم وهو ما أثر سلبا على استقرار الأندلس سياسيا، وهو أيضا ما كان من أول اهتمامات عمر بن عبدالعزيز الإصلاحية في الأندلس كما سنرى لاحقا.

وقد أشار أيضا (د/ عبدالله أنيس الطباع)، في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، الى هذا الموضوع، وركز جهوده في البحث حول التغيير الذي أحدثه فتح الأندلس في نمط وأسلوب الحياة الخاصة بالمسلمين، حيث اندثرت الى حد كبير عادات كثيرة، وبخاصة في نظم العيش والحياة التي ألفها الفاتحون المسلمون، وهو ما أدى الى تراجع المفاهيم الاسلامية التي تحكمت في عملية الفتح الإسلامي (5).

و الحقيقة أن الدكتور/ أنيس الطباع قد وضع يده على الداء الذي أودي بالأندلس كلها في نهاية المطاف، وربما تبنى فكرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، حول إبعاد الجيوش عن المدن، لتحتفظ الجيوش بصلابتها وقوتها، ولا تركن الى الراحة وترف العيش إذا استقرت داخلها.

و العجيب هنا أن جل المصادر الإسلامية التي أرخت للغرب الإسلامي، وتناولت هذا الموضوع، تناولته بكثير من الاستغراب وعدم التصديق، ولكنها لم تتطرق الى الأسباب والدوافع التى سيطرت على الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز للمضي في تنفيذه، ولم تذكر التدابير التي اتخذها من أجل تحقيق هذا العمل، ولكي نعرف لماذا فكر عمر في هذا الموضوع، لا بد أن نحاول أولا معرفة علاقته بالأندلس منذ بداية الفتح الاسلامي، وهو قابعا في الشرق ولا يعرف عنها غير ما يتم إرساله من تقارير ومكاتبات الي الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (6)، الذي تم في عهده اتمام فتح بلاد المغرب ، وفتح الأندلس، وكان عمر حينها واليا على بلاد الحجاز لحوالي سبع سنوات من سنة (87 - 93 هـ) - (706 - 712 م).

وكان فتح الأندلس في حد ذاته مغامرة عسكرية كبيرة، لم تكن في حسبان أو من أولويات الدولة الأموية، لعدة اعتبارات أهمها البعد الجغرافي المتطرف عن الدولة الأموية في المشرق، والحاجز المائي الذي يفصل بلاد المغرب عن الأندلس، وهو ما يجعل ما وراءه مجهولا بالنسبة لهم، وهو ما رسخ منذ البداية في عقل ووجدان عمر بن عبدالعزيز، في البعد الكبير عن عالمه الإسلامي الذي نشأ فيه في المشرق، وهو أيضا ما حال الى عدم ذهاب أي من خلفاء بني أمية الى هذا القطر البعيد منذ أن تم فتحه وحتى نهاية دولتهم، أكتفوا فقط بإرسال الولاة ولم يتحمس أي من خلفاء بني أمية، للذهاب والإضطلاع على هذه الأرض الجديدة التي ضمت للدولة الإسلامية.

علاوة على أن الأندلس منذ فتحها خضعت إداريا لبلاد المغرب، التي استقرت فيها الفتوحات بصورة كبيرة ، وضمت الى خريطة الدولة الإسلامية، وامتدادها الطبيعي شرقا وغربا، وأصبحت القيروان هي المتحكمة في كل ما يتعلق بالقرار الأندلسي، سياسيا وإداريا وعلى كافة الصعد.

لا أود الاستطراد كثيرا في هذه النقطة، كي لا نخرج عن سياق الموضوع، ولكنها مهمة جدا في فهم ومعرفة فكرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، حيث أصبحت دمشق عاصمة الخلافة الأموية لا تشغل نفسها كثيرا بالأندلس وأحوالها وبخاصة في بدايات الفتح، وركزت جل اهتمامها على بلاد المغرب، واكتفت بتعيين الولاة في بلاد المغرب وتركت أمر الأندلس في أيديهم، ومن هنا ظهرت مشكلة الصراع بين العصبيات القبلية في الأندلس (7).

علاوة على أن الصراع والصدام الذي حدث بين العرب والبربر منذ بدايات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهو الذي جعل فتح المغرب أطول الفتوحات الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي كله، وهو ما جعل الأستاذ / ليفي بروفنسال، يقول : " هذا الصدام بين العرب والبربر أخر الفتح الى ما بعد وفاة الخليفة عبدالملك بن مروان (8)، ولم يصبح الفتح حقيقة واقعة إلا في ولاية ابنه

الوليد بن عبدالملك، الذي اسند عبء الفتح الى واليه على بلاد المغرب، موسى بن نصير، الذي استكمل الفتح في بلاد المغرب بصورة نهائية (9).

وكان البربر ولأول مرة في تاريخ الفتوحات الإسلامية، يحملون عبء الفتح كاملا بجيش من غير العرب، وتم الاعتماد كليا عليهم، ورغم عدم الاندماج والاحتواء الاجتماعي للعرب لهم ظهرت الثورات العديدة التي قاموا بها على العرب في بلاد المغرب، وامتدت ثوراتهم الى الأندلس أيضا، نتيجة الشعور بالظلم والاضطهاد والسيادة العربية عليهم، رغم أن العرب هم الوافدون عليهم وعلى بلادهم، وهم الذين تحملوا عناء وعبء الفتح، ورغم ذلك استطاعوا أن يفرقوا جيدا بين الاسلام كدين استقر في عقولهم ووجدانهم، وبين العرب كبشر لديهم من نقائص البشر من التطلعات والعصبية مما جعلهم يحيدون ويتسيدون على العديد من العناصر المكونة للمجتمع في الغرب الإسلامي، وليس على البربر وحدهم (10).

وقد أظهرت موقعة شذونة (11)، مدى انتماء البربر الى دينهم الإسلامي، وقدرتهم على تحمل المسؤلية الكبيرة التى قاموا بها على أكمل وجه، وكانوا ينتظرون المقابل دون تفريق أو تعال، ولكنهم لم يجدوه فكانت الثورات التى لم تهدأ والتى اضعفت كثيرا الغرب الإسلامى برمته.

والحقيقة أن السرعة التي تمت بها عملية الفتح الأندلسي، أزعجت الخلافة الأموية كثيرا، فهو من أسرع الفتوحات، وهو ما مكن الفاتحين من حيازة الأرض ولكن لم يمكن لهم التغلغل في قلوب أهل البلد المفتوح، وهو ما ينذر بعدم الاستقرار منذ البداية، مما جعل الخليفة الوليد بن عبدالملك على حد رواية صاحب أخبار مجموعة أن يستدعي موسى بن نصير وطارق بن زياد(12) على عجل الى العاصمة الأموية في الشرق.

متابعة الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك للفتح.

ويبدو من خلال النصوص التي أوردها لنا صاحب أخبار مجموعة، المتابعة الدقيقة والمستمرة للخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك؛ لعامله موسى بن نصير؛ حيث لم يترك له أدنى فرصة للإنفراد بأي قرار يختص بالغرب الإسلامي، سواء في المغرب أو الأندلس بعد أن تم فتحها لاحقا، ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي كانت تترى على الوليد بكل صغيرة وكبيرة تحدث في الغرب الإسلامي، على سبيل المثال فعقب فتح مدينة طنجة (13)، على يد مولاه طارق بن زياد، وهى من المدن التي لم تفتح من قبل، أو فتحت ثم ارتجعت ثم تم فتحها مرة أخرى، وأسلم أهلها واختطها موسى قيروانا للمسلمين وأوطنها إياهم، وكتب بذلك الى الوليد بن عبدالملك، سنة تسع وثمانين (14).

ويسترسل صاحب أخبار مجموعة في نص أخر يظهر فيه خوف وحرص الوليد بن عبدالملك على المسلمين من عواقب المخاطرة بالعبور إلى الضفة الشمالية للبحر المتوسط، عبر مضيق جبل طارق، وذلك عقب إتصال يليان بموسي يعرض عليه مساعدته في دخول الأندلس، عقب القصة المعروفة التي تناولتها العديد من المصادر بإعتداء رذريق أو لزريق على ابنته (15). وكتب موسى بذلك الى الوليد وأعلمه " بما دعاه إليه يليان، فكتب إليه أن خضها بالسرايا، فبعث رجلا من مواليه يقال له طريف ويكنى بأبي زرعة (16)، في أربعمائة، ومعهم مائة فرس، فسار في أربعة مراكب حتي نزل بمراكبه جزيرة يقال لها جزيرة الأندلس، التي هي معبر مراكبهم، ودار صناعتهم، يقال لها جزيرة طريف سميت به لنزوله فيها، فأقام حتى تتام له أصحابه، ثم نهض حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى مثله ولا أصحابه، ومالا جسيما ورجع سالما، وذلك في رمضان سنة إحدى وتسعين "(17).

ويبدوا من هذا النص حرص الوليد على أرواح المسلمين، فى طلبه بالبدأ بإختبار الضفة الأخرى بالسرايا، علاوة على تنفيذ موسى أوامر الوليد بدون أدنى مناقشة، وبالتالي لم يستطع

موسى من إعداد العدة لعبور طارق إلا بعد أن استوثق من موافقة الوليد الذي بدوره إطمأن على الوضع العام للأندلس بعد أن وصلته تقارير سرية طريف، فى عودته سالما بعد أن أصاب فيئا وسبيا دون أن يلقى مقاومة.

قرار الوليد بعودة موسى وطارق.

ولمعرفة المزيد عن أسباب اتخاذ عمر بن عبدالعزيز لهذا الرأي في الإنسحاب من الأندلس، ومن خلال استقراء النصوص التي وردت في هذا الموضوع، وبخاصة في بدايات الفتح في عصر الوليد على وجه التحديد، ومعاصرة عمر لكل هذه الأحداث ومتابعتها بدقة كغيره ممن عاصرها، لا بد أن نتطرق الى التواصل الذي حدث بين الوليد وعامله موسى بعد فتح الأندلس، حيث كان الوليد قد أرسل الى موسى مرات عدة بعد الفتح، يطلب منه عدم التوغل في الشمال الإسباني، ولكن موسى لم يوقف عمليات الفتح، وهنا لم يخالف موسى الوليد بقدر ما كان متلهفا لاتمام وتأمين الفتح، علاوة على أنه هو من يعرف الوضع العسكرى أفضل من الخليفة، فهو على أرض الواقع، ويرى ما لا يراه الخليفه، أو عيونه الذين أوغروا صدره على موسى وطارق، ولكن موسى في النهاية اضطر أن يرضخ الى رأي الخليفة بعد أن وصلته أنباء عن غضبه وخوفه من التوغل أكثر في تلك الأراضي الشاسعة.

وظل الوليد على رأيه، رغم المسيرة الحافلة التي سلكها موسى في غرب الأندلس، وكثرة المدن التي فتحها وأضافها الى ما فتحه طارق، ولكن الوليد رأى وقف هذه العمليات العسكرية في الشمال الإسباني، ويلخص صاحب أخبار مجموعة هذا الموقف في ذلك النص قائلا : " ثم جاء رسول الخليفة الوليد سنة خمس وتسعين فأخذ بعنان موسى فأخرجه من الأندلس وطارق معه" (18).

وهنا استسلم موسى لقرار الوليد، وعاد هو وطارق الى الشرق حيث مقر الخلافة الأموية في العاصمة مدينة دمشق، دون أن يجد الوقت الكافى لترتيب أوضاع البلد الجديد البعيد، الذى يحتاج الى ترتيب إداري ومالي على درجة عالية من الدقة، وكل ما استطاع أن يفعله موسى في هذا الوقت الضيق قبل أن يرحل، هو أي يخلف إبنه عبدالعزيز بن موسى حاكما عليها، وأسكنه مدينة إشبيلية (19)، التي اصبحت العاصمة الأولى للأندلس، قبل انتقال العاصمة إلى مدينة قرطبة، ولم تستقر الأمور لولده عبدالعزيز بن موسى كثيرا حيث دبت الخلافات بينه وبين كبار القادة، وهو ما أضعف عصر الولاة، أول عصور الأندلس كثيرا، وبدلا من استقرار البلاد وترتيبها وتأمينها، ومتابعة الفتوحات، فقدت البلاد توازنها منذ البدايات الأولى، وقتل عبدالعزيز بن موسى لأسباب عديدة (20).

ولمتابعة الأسباب التي أدت الى قرار الانسحاب من الأندلس، أن الأندلس بليت بموجة من الصراعات القبلية، ما لبثت على إثرها أن انفصلت سياسيا عن الخلافة الأموية الأم في المشرق، وهو ما زاد من حدة الصراعات بين العرب وقبائلهم وعصبياتهم من جانب، وبينهم وبين البربر من جانب أخر، حيث شعر البربر بالظلم والغبن الشديد نتيجة السيادة العربية، التي استولت في إيثار واضح للنفس على مزايا الفتح من الغنائم وحيازة الأراضي الخصبة، والأماكن المتميزة على ضفاف الأنهار، وتركوا للبربر وغيرهم من العناصر السكانية الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسي، الأراضي الرديئة غير الصالحة للزراعة، وهو ما أجج الصراع وأخذ البلاد الى أتون التناحر الذي لم تخرج منه، وهو ما أضعفها وأوهنها كثيرا.

وقد زادت المسألة سؤا بتزايد أعداد المهاجرين الى الأندلس وبخاصة من العرب، وهو ما زاد من حدة تهميش العناصر السكانية الأخرى وبخاصة البربر المتربصين الساخطين على كل الأوضاع، وهم ممن يرى نفسه الأفضل فى هذا الزمان والمكان لقيام عمليات الفتح على أكتافهم (21). وفي نفس السياق أورد لنا المقري نصا، نقلا من الرازي، يوضح فيه كثافة الأعداد من هذه

الهجرات الى الأندلس عقب الفتح الإسلامي، يقول فيه : " وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس، وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبل" (22).

وقد كانت هذه الهجرات السريعة المتلاحقة غير المنظمة، التي أربكت الأندلس قد حمل فيها العرب الى جانب أمتعتهم وحلمهم بالغنائم والثراء، حملوا أيضا ضغائنهم وصراعاتهم التي لا تهدأ والتى عاشوها وتناقلوها على مدار تاريخهم، والتى ربما لم تهدأ الا في الفترة الوجيزة التي عاشت فيها يثرب (المدينة كما سماها النبي ﷺ)، قيام دولة الإسلام فيها، والتي غيرت وجه الحياة بها حتى الإسم نفسه تغير الى المدينة، ولكن من أين نأتي بمن يوحد ويؤلف القلوب بين هذه القبائل التى جبلت على الحرب، وعادت الى ما كانت عليه بعد انتقال الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى، حيث أطلت هذه النعرات والصراعات برأسها مرة أخرى، وكانت أكثر حدة وشراسة في الأندلس رغم بعد المكان والزمان.

ولكل ما سبق أصبحت الأندلس مكانا خصبا للصراعات وبخاصة حول أهم موردا ماليا ومصدرا للدخل فيها، والمقصود هنا حيازة الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة، وكان عمر بن عبدالعزيز أول وأهم من تنبه الى هذه المشاكل الكبيرة، حيث أخذ على عاتقه إصلاح الغرب الإسلامي كله بصورة عامة وليس الأندلس فقط، فبدأ بإرسال الولاة على الغرب الإسلامي مباشرة من قبل الخلافة، وهي السابقة التي لم يسبقه اليها غيره، وبدأ هذه الإصلاحات بإصلاح النفوس وتقوية الوازع الديني، وتصحيح العديد من المفاهيم المتصلة بالدين والشريعة الإسلامية، وهو ما لم يتبناه غيره من حكام المسلمين من قبل.

وقام عمر بإرسال عشرة من الفقهاء البارزين الى بلاد المغرب لنشر الإسلام من جديد بصورته ومفاهيمه الصحيحة، وأمر على رأس هؤلاء العشرة (23)، إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم (24)، وأرسله على رأس تسعة فقهاء جميعهم من كبار التابعين، وهو ما أحدث تأثيرا كبيرا في المجال الفقهي والديني بشكل عام.

وقد برز من هؤلاء العشرة أيضا حبان بن أبى جبلة (25)، وكان لهؤلاء العلماء أدوارا سياسية وعلمية ملموسة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وكان حبان بوجه خاص خامس التابعين الذين دخلوا الى الأندلس فيما بعد، وكان مولى لبني عبدالدار ، وكان في ديوان مصر، فبعثه عمر بن عبدالعزيز فى جماعة من الفقهاء ليفقهوا الناس، وكان ممن روى عن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عباس (ت 68 هـ - 687م)، وعبدالله بن عمر (ت 73 هـ - 692م)، وقد شارك فى الغزو مع موسى بن نصير عند فتح الأندلس، وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة (26)، " وقيل أنه عاد الى إفريقية فتوفي بها بعد العشرين مائة " (27).

ويبدو من هذا النص الذي أورده المقري، وجاء في العديد من المصادر الإسلامية، حرص الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز على اختيار مبعوثيه ورجاله في كل المجالات كما سنرى لاحقا في اختيار عماله، الى الغرب الإسلامي بصفة عامة، خاصة ممن شاركوا في الفتح المبكر، وشاهدوا بأنفسهم أهمية التضحيات التي قدمت لهذا الفتح الكبير، وليس ممن وردوا على الأندلس مهاجرين طمعا فى الغنيمة ورغد العيش، وذلك بعد أن استتب فيها الأمر، فسهل عليهم العودة مرة أخرى للتفكير في العصبيات والصراعات، وحيازة أكبر قدر ممكن من المزايا، دون تقديم المقابل، سواء كان هذا المقابل التضحية بالنفس وهى أغلى من يملك الإنسان، أو حتى معنويا بعدم التعصب والتخريب مع أهل عصبيته وعشيرته، وهو ما فقهه عمر بن عبدالعزيز

مبكرا قبل أن يستفحل ، وكان من العوامل الرئيسية التي أدت الى انهيار الأندلس مع مرور الزمن.

وقد بدأت الأمور في الغرب الإسلامي تتغير بشكل جذري منذ ولاية عمر بن عبدالعزيز الذي اتبع سياسة جديدة لم يتبعها بشكل مباشر أي من سابقيه، حيث فصل بلاد المغرب عن الأندلس، وأصبح القرار في الأندلس سياديا وغير تابع لبلاد المغرب ووالياها، علاوة على استقلال الأندلس سياسيا وعسكريا عن بلاد المغرب، وهو ما أغضب البربر على وجه التحديد كثيرا، كما ذكرنا من قبل أنهم وهم أهل المغرب الأصليين، وهم الذين فتحوا الأندلس، ولكن تم تهميشهم بصورة حادة أغضبتهم.

والعجيب هنا أن عمر بن عبدالعزيز لكي يصلح أحوال الأندلس، لم يبدأ بها مباشرة، بل بدأ بإصلاح بلاد المغرب، واتبع سياسة استباقية بتثبيت أركان الإسلام بصورة أكثر قوة، رأى بثاقب نظرة أنها سوف تنعكس ايجابيا على الأندلس، القطر الحديث العهد بالإسلام والمسلمين.

ولهذا أقر عمر وأبقى عامل إفريقية الذي عينه سلفه سليمان بن عبدالملك (28)، وهو الوالي محمد بن يزيد (29)، الذي كان واليا على بلاد المغرب كله، وهو من أهم عمال بلاد المغرب في هذه الفترة المضطربة، والذي كان يدعمه ويزكيه في البلاط الأموي في عهدي سليمان وعمر، الفقيه رجاء بن حيوة الكندي (30).

وهكذا نرى أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد بدأ مشروعه بمحاولة جادة لترسيخ الإسلام وتعاليمه فى القلوب والعقول، والعمل على تجذره في الغرب الإسلامي كله، وهي الفكرة التي سيطرت واستحوذت عليه بصورة تامة، برزت في اختيار عماله وفي اختيار علماؤه البارزين وارسالهم الي الغرب الإسلامي، وحاول أن يعمل على هذه الفكرة جاهدا، وبكل الطرق الممكنة، فهو يعرف جيدا أن طريق الإصلاح وبداية الاستقرار في كل مناحي الحياة لا تتحقق أو تكتمل إلا بتجذر الإسلام الصحيح في هذه البلاد البعيدة حديثة العهد بالإسلام وتعاليمه، والتي تحتاج الى عناية خاصة من أشخاص يملكون قدرة وملكة توصيله الى هؤلاء القوم.

وقد أجمعت المصادر التي تناولت هذه الفترة في الغرب الإسلامي على تلك الفكرة من حيث اختيار عمر لعماله وتوجيههم إلى العمل على انجاح هذه الفكرة، ومثالا على ذلك ما تناولته المصادر حول سيرة عامله على بلاد المغرب، إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى، وتأكيدها على أنه أفضل من تولى بلاد المغرب، وأنه لم يألوا جهدا في تأليف قلوب البربر، ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة بينهم، فكان من أهم الولاة حيث حاز حب المجتمع البربري، وأتت هذه السياسة ثمارها بترسيخ الدين الإسلامي في قلوب البربر المغاربة (31).

وفي هذا السياق أمدنا البلاذرى في كتابه فتوح البلدان بنص غاية في الأهمية، حيث يقول "كتب عمر بن عبدالعزيز رسالة الى واليه على بلاد المغرب اسماعيل بن عبيدالله الإنصارى، يدعوه فيها الى العمل على نشر الإسلام في أوساط البربر، وتأليف واستمالة القلوب بالدعوة الى الإسلام، وقد قام اسماعيل بقراءة رسالة الخليفة في كل المجتمعات المغربية وعرفهم فحواها، وكان لها تأثيرا كبيرا في تحويل غالبية المغاربة ممن لم يدخلوا في الإسلام الى الدخول فيه (32).

والحقيقة أن هذه الرسالة الموجهه من عمر بن عبدالعزيز الى عامله على بلاد المغرب تضعنا أمام مجموعة كبيرة جدا من الفروض، أهمها معرفة عمر واضطلاعه على أحوال الغرب الإسلامي، وبأن الفتح الإسلامي في بلاد المغرب ما زال يجد مقاومة عنيفة من قبل البربر، ورغم أن موسى بن نصير أتم فتح بلاد المغرب ، إلا أنه فتح البلاد ولكن لم يستطع أن يفتح قلوب العباد، وهو ما أزعج عمر بن عبدالعزيز كثيرا، فهو يعرف جيدا أن العنصر البشري أهم من حيازة الأراضي الشاسعة، لأن العنصر البشري المسلم على وجه التحديد هو من سيحمي البلاد وهو ما

حدث فعليا لاحقا في بلاد المغرب التي ظلت الى اليوم فى حوزة المسلمين، وهو ما لم يحدث فعليا في الأندلس رغم طول الفترة التي قضاها المسلمون فيها، حيث ظل الصراع المرير والمقاومة الشرسة المستميتة التي قادها الإسبان وحلفاؤهم مستعرة حتى استطاعت في النهاية أن تحقق أهدافها بسقوط الأندلس.

ولكل هذا عمل عمر جاهدا على إدماج البربر سياسيا واجتماعيا ودينيا تحت راية الدولة الإسلامية، وهو ما تحقق الى حد كبير في فترة حكمه القصيرة، ولكن ما لبث البربر أن شعروا بعده بالعنصرية والتفرقة والظلم، فعادوا الى اشعال الثورات بينهم وبين العرب، ولكن الفرق هنا أن الثورات والخروج على السلطة، سواء السلطة التي تحكمهم مباشرة أي الوالي، أو السلطة المركزية المتمثلة في الخلافة الأموية في الشرق، ولم تكن خروجا على الإسلام وتعاليمه، وهو ما لم يتحقق في الأندلس.

هذا عن بلاد المغرب والتي لم تختلف أحوالها كثيرا عن الأندلس، في تلك الفترة التي تولاها عمر بن عبدالعزيز، حيث جاء تعيين والي الأندلس وهو السمح بن مالك الخولاني، في نفس التوقيت الذي تم فيه تعيين والي المغرب (33)، وقد حاز كلاهما على نفس الامتيازات من حيث إطلاق أيديهما في تحقيق رغبة الخليفة في تأليف القلوب وتجذير الإسلام في كلا القطرين، ولا يكون لأحدهما علوا أو أمرا على الأخر كما كان من قبل وكما أصبح من بعد عهد عمر، والأهم من هذا ثقة الخليفة فيهما سياسيا ودينيا، حيث منحهما كافة الصلاحيات المطلوبة لتنفيذ فكرته، فى العمل على إعادة صياغة المجتمع على أسس إسلامية سليمة، وكلفهما بالصلاة وأخذ قرار الحرب وجمع أموال الخراج، فقد جمع كلاهما صلاحيات البث في كل الشئون السياسية داخليا وخارجيا، علاوة على إدارة الشئون الاقتصادية وهى الأهم والتي تحفظ توازن البلاد واستقرارها في كل زمان ومكان.

والسمح بن مالك الخولاني، كان رابع ولاة الأندلس من حيث الترتيب، والوالى الوحيد لعمر بن عبدالعزيز على الأندلس، وهو أول من أرسل من قبل الخلافة مباشرة من دمشق (34). وقد بعثه عمر '' على رأس المائة من الهجرة، وأمره أن يخمس أرض الأندلس، فخمسها وبني قنطرة قرطبة، واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة ثنتين ومائة ''(35).

ولم تعرف الأندلس الاستقرار أو التنظيم فيما عرف تاريخيا بعصر الولاة، باستثناء المدة التي حكم فيها السمح بن مالك، ويذكر المستشرق الفرنسي / ليفي بروفنسال، عن فترة حكمه قائلا : '' يبدأ التاريخ الإسلامي لمدينة قرطبة بتعيين سادس ولاة الأندلس، السمح بن مالك الخولاني، واستقراره فيها سنة100 هـ - 719م '' (36). ورغم أن السمح هو رابع الولاة، إلا أن بروفنسال اعتبر طارقا وموسى من زمرة الحكام في عصر الولاة، فذكر أنه سادس الولاة.

ويمدنا صاحب أخبار مجموعة بهذا النص شديد الأهمية حول اهتمام عمر بالأندلس قبل ولايته للخلافة، واهتمامه بعماله، وهذا النص يوضح السبب الرئيسي في اختيار عمر لعامليه على الغرب الإسلامي في المغرب والأندلس، ويقول : جلس عمر بن عبدالعزيز يوما في مجلس الخليفة سليمان بن عبدالملك، وكانت هناك عادة يتبعها خلفاء الدولة الأموية عندما تأتي اليهم الجبايات من الأمصار والآفاق، حيث يرسل اليهم مع كل جباية عشرة من الرجال من وجوه الناس وأجنادها ممن يتوسم فيهم العدل، فلا يدخل بيت المال من الجباية دينارا ولا درهما حتى يحلف الوفد يمينا بالله الذي لا اله إلا هو، بأن ما فيها دينارا ولا درهما إلا أخذ بحقه، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية، بعد أن أخذ كل ذي حق حقه، فأتى وفد إفريقية بخراجها وكان عمر من بين الحاضرين، وكانت إفريقية يومئذ ثغرا فكان ما فضل بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج إفريقية في زمان سليمان ، أمروا بأن يحلفوا فحلف الثمانية، وامتنع عن الحلف اسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم، وامتنع

بامتناعه السمح بن مالك الخولاني، فأعجب بذلك عمر بن عبدالعزيز، وقدر فعلهما ثم ضمهما إلى نفسه، فاختبر منهما صلاحا وفضلا، فلما تولى الخلافة ولى اسماعيل إفريقية وولى السمح بن مالك الأندلس (37).

ولاية السمح بن مالك على الأندلس.

ومع بداية دخول السمح بن مالك الى الأندلس، ظهرت بوادر التمرد ممن استوطنوها عقب الفتح الإسلامي قبله، فقد دخل السمح على رأس جيش جله من العرب وهو ما أزعج سابقيهم في الأندلس حول الأموال والغنائم، وأجود الأراضي الزراعية الخصبة التي حازوها، ورفضهم مشاركة ما حازوه مع الوافدين عليهم، وأمام هذا الوضع الذي فرض عليهم لجأوا الي الخليفة عمر بن عبدالعزيز لعرض موقفهم الجديد عليه، وسافر وفد منهم واستقبلهم عمر في العاصمة مدينة دمشق، وعرضوا عليه شكواهم ورغبتهم في الاحتفاظ بأراضيهم الزراعية وامتيازاتهم المالية، وقدموا له السجلات والوثائق التي تثبت ملكيتهم لهذه الأموال والأراضي، موقعة من قبل موسى بن نصير، وبمعرفة وموافقة الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، ولم يجد عمر أمامه بما عرف عنه من تقوى وورع، غير الموافقة والاعتراف لهم بتلك الحيازات والأموال، وأقر ما فعله سابقه الوليد بن عبدالملك، وأرسل الى واليه على الأندلس السمح بن مالك بذلك، وطلب منه إرضاء جنده من أراضي الخمس بعيدا عن الأراضي التي تم حيازتها فعليا (38).

ويوضح هذا النص أن عمرا لم يكن على دراية كاملة بأحوال الأندلس وبخاصة على الصعيد المالي والإداري، بل والاجتماعي أيضا، ولكنه لم يتردد في وضع الحق في نصابه وتصحيح الأوضاع كي لا يظلم أحد، وهذه المشاكل شكلت وعيا لعمر، وقام بالمسارعة في احتواء تلك المشاكل، التي فرضت نفسها مع ازدياد أعداد الداخلين الى الأندلس، والحلم في الثراء الذي داعب خيال كل من هاجر اليها.

وقد أمر عمر بن عبدالعزيز واليه على الأندلس السمح بن مالك بأن يخمس أراضيها، ويخرج منها الأراضي التي فتحت عنوة، ويجعل خمسا لله من هذه الأراضي والعقارات، ويقر القرى في أيدي من غنمها أي استحوذ عليها، بعد أن يأخذ الخمس، وطلب منه أن يكتب إليه واصفا الأندلس وأنهارها، وكان رأيه أن ينتقل أهل الأندلس أي يتركوها وينسحبوا منها لانقطاعهم عن المسلمين (39).

ويؤيد صاحب أخبار مجموعة هذا الموقف من الخليفة عمر بن عبدالعزيز حول الانسحاب من الأندلس، ويقول : " ليت الله أبقاه حتى يفعل ذلك فإن مصيرهم إلى بوار إلا أن يرحمهم الله " (40).

ودخل السمح الأندلس سنة 100 هـ - 719م، وهو العام الأخير من خلافة عمر فكان أول ما قام به من اصلاحات، سؤاله عن الأرض التي فتحت عنوة ليفصلها عن الأرض التي فتحت صلحا، من حيث التعامل وفرض الخراج عليها، وبني القنطرة وقبل أن يشرع في البناء كتب الى عمر يستشيره ويستأذنه ويعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر على نهرها يعبر الناس عليه، وأنه لا يمكن أن يخوض الناس في هذا النهر وبخاصة في فصل الشتاء، وطلب منه قائلا : '' فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت فإن قبلى قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد ''، وأنه سوف يستخدم صخور السور المهدم لبناء الجسر، فأمره عمر ببناء القنطرة بصخور السور وأن يبني السور باللبن إن لم يجد له صخرا فبنى القنطرة سنة 101 هـ - 720م (41).

ويضيف المقري نقلا عن ابن حيان : '' أنه ـــ أي السمح ـــ بنى على أمر عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، ونصه، وقام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الأعظم الذي ما يعرف في الدنيا مثله، وفيها يقول بعض علماء الأندلس.

بأربع فاقت الأمصار قرطبة
منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان، والزهراء ثالثة
والعلم أعظم شييء، وهو رابعها '' (42).

وكانت فكرة الخروج من الأندلس والعودة الي الشرق، أو بمعنى أدق عدم الرغبة في الإقامة أو العودة للإقامة فيها قد راودت بعض كبار القادة وعلى رأسهم موسى بن نصير، الذي لم يعد الي الأندلس مرة أخرى بعد خروجه منها' فقد أفصح للخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك رغبته في مغادرة الأندلس، والعودة الى موطنه في الشرق، وشاركه في هذا العديد من كبار القادة، فما كان من الوليد إلا أن استرضى كبار القادة وأجزل لهم العطاء، ومنحهم إمتيازات خاصة، وأعطاهم وثائق رسمية بتلك الأراضي الجيدة، ترغيبا منه لهم للعودة والإقامة بالأندلس (43).

ولم يجهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك نفسه في معرفة الأسباب التي دعت هؤلاء القادة الكبار الذين قادوا الفتح ترك الأندلس، وكل ما كان يهم الوليد هو استقرار الفتح دون النظر لأي إعتبارات أخرى، ويمكن أن نلتمس له العذر بأن المرض الذي ألم به في نهاية حياته لم يجعله يقدر الأمور تقديرها الصحيح، علاوة على أن الطريقة التي استدعى بها الوليد بن عبدالملك، موسى بن نصير وطارق بن زياد، وعودتهما بالسرعة التي لا تتناسب مطلقا مع حجم هذا الإنجاز الكبير الذي قدماه نتيجة الوشاية وسوء التقدير والصراعات الشخصية والغيرة والحسد، الذي دب في قلوب البعض سواء كان حقيقيا أم مجرد شائعات، كانت له عواقب وخيمة في عدم إخضاع البلاد بالشكل الكامل واللازم لضمان الاستقرار لها. وكبار القادة أعلنوا فقط عدم رغبتهم في الإقامة لأسباب قدروها هم، ولا نعرف عنها شيئا، أما المجاهرة بالإنسحاب بشكل علني وواضح فقد تبناها عمر بن عبدالعزيز، وعين واليه السمح بن مالك لتقييم الوضع على الأرض والقيام بهذه المهمة.

ونتيجة لحسن سياسة عمر وورعه وتدينه، وحسن اختياره لواليه على الأندلس، ضعفت فكرة الإنسحاب بعد وصول السمح، وموافاة الخليفة بالعديد من التقارير، والتي كان قد طلبها منه عند بعثه الي الأندلس، فقد أراد عمر أن يعرف موارد الأندلس وجغرافيتها، وأوضاعها الداخلية، علاوة على أن السمح كان لا يقل تقوى وورعا عن خليفته، فتلاقى فكر الرجلان وعملا معا على رفع شأن هذا القطر حديث العهد بالانضمام الى الدولة الإسلامية، وهو ما نتج عنه استتباب لكل الأمور، ولم تشهده الأندلس إلا مدة وجيزة طيلة عصورها الطويلة، وذلك نتيجة إقرار الأمن والنظام والعدل والاحتواء، وهي من أهم الأسس التي تحافظ على حفظ وسلامة البلاد قديما وحديثا (44).

ورغم أن فكرة الانسحاب من الأندلس التى راودت الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وهي كما سبق وذكرنا فكرة غريبة وعجيبة في آن واحد، لأنها ليست من سياسات المسلمين التوسعية ـــ مع اختلاف القياس مع القوى التوسعية المعتدية في العصور التاريخية المختلفة ـــ في ذلك الوقت كقوة عسكرية وسياسية لها شأنها، وهي أيضا تخل بموازين القوى، ولكن الباحث المتعمق في شخصية الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز، يعرف جيدا تقواه وورعه، حيث أجمعت المصادر الإسلامية بدون إستثناء عليه في تلك الناحية، فقد شذ عن قاعدة خلفاء بني أمية وسار على نفس الدرب الذي سار عليه جده عمر بن الخطاب من حيث حفظ أرواح المسلمين، فأرواح المسلمين وراحتهم أهم من كل المغانم التي قد يجنيها أي فتح، وهو ما توسمه بفراسته عند النظر الى هذا

القطر البعيد، المنفصل عن جسم الدولة الإسلامية بصفة عامة، واستحضر خوف جده الفاروق من الموانع والحواجز المائية، ولذلك قام عمر بن عبدالعزيز بمناقشة تلك الأفكار مع كبار مستشاريه، ورجاله العسكريين، واستند كثيرا الى تقارير واليه المطمئنة بشكل كبير، كل هذه الاجتهادات خوفا من العواقب الوخيمة التي قد تضر بحياة المسلمين (45).

وقد كان السمح أمينا في إمداد الخليفة بكل المعلومات الصحيحة دون تهوين أو مبالغة، حتى يستطيع الخليفة أن يبني رأيه حول هذا الأمر الخطير بالإنسحاب من الأندلس، ولمعرفة مدى جدية عمر في هذا الأمر، فقد كان بالفعل جادا، فقد قام بالإنسحاب الفعلي من بعض المدن في المشرق الإسلامي، لأسباب أمنية خالصة، ولحفظ حياة المسلمين، حيث تمدنا المصادر الإسلامية بإنسحاب المسلمين فى عهده من مدينة طرنطة Tarande، وقيامه بتوطين سكانها في مدينة أكثر أمنا وهي مدينة ملطية Melitene، وهي من أهم المدن والثغور على الحدود الإسلامية البيزنطية (46).

و أتت هذه السياسة ثمارها، وشهدت الأندلس هدوءا لم تعهده من قبل، في أهم المشاكل التي أودت بحياة دولة الإسلام في الأندلس، وهي مشكلة الصراعات القبلية، حيث استطاع السمح بتوجيه من الخليفة عمر في ظل هذا الهدوء أن يشرع في تنظيم أمور الدولة، ماليا وسياسيا واجتماعيا، وأن يحاول اتمام ما لم يستطع موسى اتمامه بعد عودته الى الشرق.

وقد ميز السمح بين الأراضي التي فتحت صلحا والتي فتحت عنوة، وهو ما له تشريعا خاصا في الشريعة الإسلامية، ربما لم يلتفت إليه أو يطبقه غير السمح بن مالك بتوجيه من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، ورغم ذلك ولتحديد الأمر بشكل لا يخالجه شك قام عمر كما ذكر ابن القوطية : بتعيين أحد أهم مواليه، ممن لهم خبرة واسعة في هذا المجال لمعاونة السمح في تلك الجزئية، وأسند إليه على وجه التحديد المهام المالية (47)، وجاء تعيين هذا المولى ليس شكا في السمح فقد وضحنا من قبل ثقة الخليفة في واليه، ولكن للإستفادة القصوى من أهل الخبرة والكفاءة.

ويعلق الأستاذ الدكتور / حسين مؤنس على هذا الفصل في المهام الذي قام به عمر، وإسناد الأمور المالية الى هذا المولى الذي أشار إليه ابن القوطية بإسم جابر، فقط مجردا من أي استكمال للإسم، ويقول د/ مؤنس، أصبح جابرا مكلفا بالأمور المالية، بينما انحصرت اختصاصات السمح في الشئون المدنية والعسكرية (48). وربما هذا الفصل هو ما جعل السمح يستعد لمواصلة الفتوحات في الشمال الإسباني بعد أن تحمل هذا المساعد العبء المالي وهو من أهم الأعباء في الأندلس على وجه الخصوص.

والحقيقة أن هذه الشخصية الغامضة التي لم يشر لها سوى ابن القوطيه، وبصورة عابرة ودون توضيح للإسم كاملا، والتي جعلت الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بحرصه الشديد يضع موارد الأندلس وماليتها تحت تصرفه، وهو ما يجعلنا نشك كثيرا في صحة الرواية، برمتها، وما يدحض هذه الرواية أيضا ما ذكره ابن عذاري عن تصرف السمح في أراضي الأندلس الزراعية بنفسه، حيث يقول : وعندما أتم السمح عمله، ويقصد هنا عمله في الأراضي الزراعية التي فتحت عنوة، أصبحت هذه الأراضي محددة وهى التي كان يؤخذ منها الخراج (49).

وكانت هذه الأراضي الواسعة هي مصدر الدخل الأول في الأندلس، وهي التي يتم منح الإقطاعات منها، وهي التي تمد بيت المال بالأموال اللازمة التي يحتاجها طوال فترة الحكم الأموي بمدينة قرطبة (50).

ثم قام السمح بإخراج قطعتين من أرض الخمس الذي تم تحديده بمدينة قرطبة، وأقام على الأولى مقبرة للمدينة، وعلى الثانية مصلى، وهو ما يدعم رأينا حول تصرف السمح بنفسه في أراضي الخمس (51).

وبفضل هذا التنظيم الذي قام به السمح عاد الهدوء ، وخبت الصراعات القبلية، وهو ما ساعد كثيرا على عودة الهدوء والاستقرار لهذا الثغر الإسلامي، الذي يجاور عدوا متربصا، وهو ما شجعه على استئذان الخليفة لاعداد الجيش لمواصلة الغزو في بلاد الغال (فرنسا حاليا)، للمرة الأولى منذ فتح الأندلس، ولولا استقرار الأحوال الإقتصادية ما استطاع أن يطلب هذا الطلب من الخليفة، الذي يعرف جيدا أهمية حماية حدود الدولة الشمالية.

واستطاع السمح بفضل الإعداد الجيد التوغل في بلاد الغال، ولن نسترسل كثيرا في هذا الأجزاء المعروفة، حول حروبه واستشهاده في إحدى المعارك في 9 ذي الحجة 102 هـ - 10 يوليو 721م (52).

وبوفاة السمح ومن قبله الخليفة عمر بن عبدالعزيز، انتهى الى غير رجعة الاهتمام الذي أولته الخلافة الأموية بالأندلس، وعادت الأندلس من جديد الى نقطة البداية، ليكون زمام أمرها مرة أخرى في يد حاكم بلاد المغرب، لأن من خلفوا عمر في دمشق لم يكونوا على قدر مستواه الفكرى والسياسي والروحي أيضا ، في التطبيق العملي لمبادىء الإسلام وهو ما أدي في النهاية للنتيجة التي آلت اليها الأندلس.

فقد بدأت ثورات البربر في الظهرو مرة أخري في المغرب والأندلس، وأصبحت أكثر حدة وشراسة بعد أن ذاق الناس حلاوة العدل، وأصبحت الأمور على هذا المنوال حتي دخل عبدالرحمن بن معاوية الداخل (ت 172 هـ - 788م)، الي الأندلس وأحيا ملك بني أمية من جديد، لتبدأ مرحلة جديدة عرفت نوعا من الازدهار والهدوء والإستقرار الى حد كبير.

الخاتمة.

أما النتيجة الحتمية التي رأها عمر بثاقب بصره وبصيرته، ولم يرها غيره ممن جاءوا بعده، ولم يكلفوا أنفسهم بالاستفادة من تجربته الرائدة في تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية بما يحفظ الإسلام والمسلمين، بعيدا عن التفكير المادي البحت، لقد رأى عمر ما لم يره غيره من اندثار وانتهاء دولة الإسلام في الأندلس، حتى وإن طال الأمد بها، لقد سبق عمر عصره، بهذا التفكير وكان أشفق بالمسلمين من أنفسهم، وأمن بأن البلاد لا تقوم إلا بالعدل، وبإعلاء مكانة الإنسان فوق أى اعتبار، وهو الفكر الذي لم تنعم به الأندلس إلا في تلك الفترة الوجيزة التي كانت فيها خلافته.

وبدأ عمر بنفسه ليضع المصداقية والسكينة في قلوب شعبه شرقا وغربا، علاوة على حرص عمر الشديد على تغليب عنصر الكفاءة والصدق والأمانة، على عنصر الثقة فقط في اختيار عماله، وهى المقومات الأولى والخطى المأثورة عن مؤسس الدولة الإسلامية الأولى الرسول ﷺ، وهي الأسس التي تم اتباعها قليلا في بعض العصور الإسلامية، وعلى رأسها عصر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وحفيده عمر بن عبدالعزيز، مما جعل من العصرين مضربا للأمثال في العدل والتقوى وحفظ وإعلاء حقوق الرعية.

ولكل ما سبق فكر عمر في الإنسحاب المبكر من هذه الأراضي رغم ثراءها، فهو يعرف جيدا أن القادم لن يكون عمرا ولن يتحمل أن يكون مثله ويبدأ بنفسه في التقشف والاستغناء ليكون قدوة لرعيته، ونعود مرة أخرى للسؤال الذي بدأنا به البحث، هل لو طبق عمر فكرته وانسحب من الأندلس ـــ رغم كل ما نفخر به من ماض تليد له ما له وعليه ما عليه ـــ ولكن جرائم النهايات، تقول ألم يكن هذا الانسحاب قد كفى هؤلاء المستضعفين الذين عاصروا المحنة الكبرى بسقوط الأندلس، والذين فقدوا أرواحهم، وليتهم فقدوها بطرق رحيمة، بل بتلذذ غريب لم تعرف له البشرية وصفا، فيما عرف تاريخيا بمحاكم التحقيق، أو محاكم التفتيش.

الهوامش والحواشي

(1) عمر بن عبدالعزيز : هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، ثامن خلفاء بني أمية في دمشق، ولد بالمدينة المنورة سنة 61 هـ - 681م، وتوفي سنة 101 هـ، 720م، عن أربعين عاما، تولى إمارة المدينة المنورة سنة 87 هـ - (705 - 706م)، في عهد الوليد بن عبدالملك، ثم أضاف له الوليد ولاية الطائف سنة 91 هـ - (709 - 710م). الذهبي : (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي)، ت 748 هـ - 1348 م، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402 هـ - 1981م، الطبعة الثانية، الجزء الخامس، ص 144. الصلابي : (علي محمد الصلابي)، معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1427 هـ، 2006م، ص 11 وما يليها. وقد إختاره سليمان بن عبدالملك وليا للعهد، بعد أن تم عزله من ولاية الحجاز، وتولى الخلافة عقب وفاة سليمان سنة 99 هـ - (717 - 718م)، وتزوج من أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب.) وللمزيد حول عدل وزهد عمر وورعه راجع : ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع الزهري البغدادي)، ت 230 هـ - 845 م، الطبقات الكبير، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م، الطبعة الأولى، ج5، ص 341، 342، 345. ابن الجوزي : (أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن التيمي البكري)، ت 597 هـ - 1116م، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404 هـ، 1984م، الطبعة الأولى، ص 131.

(2) السمح بن مالك الخولاني : ذكر المقري أنه الوالي الرابع على الأندلس، وأول من عين مباشرة من قبل الخليفة في دمشق. المقري : (أحمد بن محمد المقري التلمساني)، (986 - 1041 هـ) - (1578 - 1631 م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع فهارسه الاستاذ الدكتور / إحسان عباس، ثمان مجلدات، المجلد الأول، دار صادر، لبنان، بيروت، 1388 هـ، 1968 م، ج1، ص 299. أما الأستاذ / محمد عبدالله عنان، فقال أنه خامس ولاة الأندلس. عنان: (محمد عبدالله عنان)، دولة الإسلام في الأندلس، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة 2001م، الجزء الأول، ص 680. ويذكر ابن القوطية : أن عمر بن عبدالعزيز قد عهد إليه بإجلاء المسلمين من الأندلس خوفا على أرواحهم، إلا أن السمح كان له دورا بارزا في إثناء عمر وتراجعه عن مشروع الإنسحاب من الأندلس، حيث طمأنه على أحوال المسلمين بها. ابن القوطية : (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) ت 367 – 977م، تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق / إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، المكتبة الأندلسية (2)، بيروت، الطبعة الثانية، 1410 هـ، 1989م، ص 38. وللمزيد راجع ترجمة السمح كاملة في : المقري : نفس المصدر، ج3، ص 14، 15، 16.

(3)Leve Provencal : Histoire de L Espagne Musulmane, Leiden, 1950 – 1954, Tomo 1, P 39.

(4) مؤنس : (حسين مؤنس) : فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، 711 - 756م، السركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، الطبعة الأولى، ص 125، 126، 145.

(5) راجع مقدمة كتاب ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق / عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة دار ومكتبة المعارف، بيروت، 1975 م، من ص 9 الى 11. وقد ذكر البلاذري في نص مهم رغبة عمر بن عبدالعزيز في الإنسحاب من بلاد ما وراء النهر، ولكن يبدو أن القادة العسكريين تمسكوا بفتوحاتهم وطمأنوا الخليفة فلم تتم عملية الإنسحاب. البلاذرى : (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي) ت 279 هـ - 897م، كتاب فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ص 233، 412. الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري)، ت 310 هـ، 923 م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، 1964م، الطبعة الثانية، الجزء 6، ص 568.

(6) الوليد بن عبدالملك : هو أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن العاص، ولد بالمدينة المنورة سنة 50 هـ - 668 م، وحكم لحوالي عشر سنوات من (86 - 96 هـ) - (705 - 715 م)، وهو الخليفة السادس من خلفاء بني أمية في الشرق، بويع بعهد من أبيه. للمزيد راجع : ابن كثير : (أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، ت 774 هـ، 1372 م، البداية والنهاية، مكتبة دار المعارف، مصر، 1413 هـ، 1991 م، الطبعة الأولى، ج9، ص 85. تم في عهده استكمال فتح بلاد المغرب على يد موسى بن نصير، وفتح الأندلس على يد مولى موسى طارق بن زياد. للمزيد راجع : ابن عبدالحكم : (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) 187 - 257 هـ / 803 - 871م، فتوح مصر والمغرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م، ج1، ص 231. ابن عذارى (أبو عبدالله محمد بن عذاري المراكشي)، عاش حتي 712 هـ - 1312 م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، المكتبة الأندلسية، رقم (4)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1400 هـ، 1980 م، . ج1، ص 41، 42. وكان الوليد أول من أنشأ البيمارستانات (المستشفيات) في الإسلام، وأقام مشتشفى في دمشق، سنة 88 هـ، 707م، وكان له إهتماما خاصا بالعمارة الإسلامية. للمزيد راجع : ابن كثير : نفس المصدر، ج9، ص 85. توفي الوليد سنة 96 هـ، 715م. ابن الأثير : (عز الدين علي بن أحمد بن أبي الكرم) الكامل في التاريخ، تحقيق / عبدالوهاب النجار، القاهرة، 1357 هـ، 1233م، ج5، ص 9.

(7) يذكر الأستاذ الدكتور / السيد عبدالعزيز سالم، أن النزاع بين العرب والبربر بدأ منذ ولاية يزيد بن أبي مسلم الثقفي (ت 102 هـ - 721م) على إفريقية، في عهد يزيد بن عبدالملك، سنة 101 هـ، 721م. سالم : (السيد عبدالعزيز سالم) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 153 وما يليها. أي بدأ النزاع مباشرة عقب وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز، ومع تعيين أول والي ليلاد المغرب من قبل خلفه يزيد بن عبدالملك،

والذي لم يحسن اختيار عماله كما كان يفعل عمر، حيث أن يزيد بن أبي مسلم، كان كاتبا للحجاج ابن يوسف الثقفي (ت 95 هـ - 714م)، والمعروف بتعصبه للعرب على حساب الموالي واستبداده بهم. للمزيد راجع : سالم: نفس المرجع، ص 153 وا يليها.

(8) عبدالملك بن مروان : هو أبو الوليد عبدالملك بن مروان بن الحكم بن العاص . هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة الأموية في الشرق، والمؤسس الفعلي لها. للمزيد حول نسبه راجع : الزبيري : (مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري)، (156 - 236 هـ) (773 - 851م)، نسب قريش، تحقيق الأستاذ / ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1982م، الطبعة الثالثة، ص 172. عويس : (عبدالحليم عويس)، بنو أمية بين السقوط والإنتحار، دراسة حول سقوط دولة بني أمية في المشرق، إعادة طبع ونشر لشركة سوزلر للنشر، مصر، القاهرة 2002م، عن الطبعة الأولى، 1407 هـ، 1987م، ص 25. ولد بالمدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفان سنة 26 هـ، 646م، وكان أول من حمل اسم عبدالملك في الإسلام. للمزيد راجع : الشمري : (صالح حسن الشمري)، النظم الإدارية والاجتماعية والعسكرية للدولة الأموية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان، كلية التربية، جامعة تكريت، العراق، 1434 هـ، 2013م، ص 4. وقد عده ابن قيم الجوزية من فقهاء المدينة الأربعة. ابن قيم الجوزية : (شمس الدين أبو عبدالله محمد الدمشقي) ت 751 هـ، 1350م، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق / أحمد عبدالسلام الزعبي، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1418 هـ، 1997م، ص 399. شهد عبدالملك أول حادث سياسي في الإسلام، وهو مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان عمره عشر سنوات. الصلابي : (علي محمد الصلابي)، خلافة عبدالملك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1431 هـ، 2010م، ص 16. توفي سنة (86 هـ - 705م)، عن ستين عاما، بعد أن حكم حوالي إحدى وعشرين سنة. الخضري : (محمد بن عفيفي الباجوري)، الدولة الأموية، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، دار المعرفة، بيروت 1997م، جزءان في مجلد واحد، ص 359.

(9)Leve Provencal : Histoire de L Espagne, P 9.

(10) مؤنس : فجر الأندلس، ص 122.

(11) موقعة شذونة Eclira Sibonide : وقعت في رمضان 92 هـ، يوليو 711 م، وقد ذكرت المصادر العربية وقوع المعركة قرب شذونة على موقع يقال له البحيرة. مجهول : أخبار مجوعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، دراسة وتقديم وتحقيق د / محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع 1414 هـ، 1994م، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، ص 54. وسميت بعدة أسماء منها وادي برباط Rio Barbate، ووادي بكة ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، 1989م، ص 33. : Thonas Hodgkin : Visigothic Spain : The English Historica, Review April 1887. P 233. وبقول ابن خلدون أنها وقعت في فحص شريش.) ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون)، ت 808 هـ- 1406 م، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 1992 م، الطبعة الأولى 1999م، ج4، ص 254. ويذكر الأستاذ الدكتور / السيد علدالعزيز سالم خطأ وقوعها في فحص شريش، ويقول أنها وقعت في شذونة، لأن شريش

بعيدة عن ميدان المعركة. سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 79. وكان أقدم مصدر إسلامي قد كتب عن أحداث هذه المعركة، هو ابن عبد الحكم في كتابه ،، فتوح مصر والمغرب ''. للمزيد راجع :- John Harris Jones : Ibn Abd El Hakem, The Islamic History Of The Conquest Of Spain, GoTling, W. Fr, Kaestner, 1858, PP 18 – 22. وانتهت المعركة بهزيمة كبيرة للقوط الغربيين بقيادة لزريق، أمام الجيوش الإسلامية بقيادة طارق بن زياد. للمزيد راجع : مجهول : نفس المصدر، ص 54 وما يليها. سالم ، نفس المرجع، من ص 70 - 81.

(12) طارق بن زياد : هو طارق بن زياد بن ولعو (رفهو)، بن ورفجوم بن نفزاو. ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج1، ص 43. أو طارق بن زياد بن عبدالله الليثي.) الزركلي : (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي)، ت 1396 هـ - 1976 م، كتاب الأعلام، نشر دار العلم للملايين، لبنان، بيروت 1992 م، الطبعة الأولى، ج7، ص 330. وقد '' اختلف المؤرخون حول شخصية طارق فهناك فريق يرى أنه فارسي همذاني، وأنه كان مولى لموسى بن نصير، وهناك فريق أخر ينكر ولاءه لموسى وقال إنما هو رجل من قبيلة صدف ـــ بكسر الدال أو فتحها ـــ أو مولى لهم والصدف قبيلة من كهلان اليمنية، ثم انتشر بعضها في مصر وفي بلاد المغرب حيث توجد قرية بأسمهم بالقرب من القيروان، ويفهم من ذلك أن طارق عربي الأصل، وهو رأي مشكوك فيه لغموض نسب طارق، وقد جرت العادة أن يهتم العرب بأنسابهم، وهناك فريق ثالث يرى أنه مغربي من قبيلة نفزة البربرية، وهذا الرأي الغالب في نظر المؤرخين، بدليل أن معظم جنوده كانوا من البربر '' المقري : نفح الطيب، ج1، ص 229. العبادي : (أحمد مختار العبادي)، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية بدون تاريخ، ص 57، 58، هامش (4). وللمزيد حول طارق بن زياد راجع : سالم : (السيد عبدالعزيز سالم)، طارق بن زياد، دائرة معارف الشعب، العدد 67، القاهرة 1959م، من ص 237- 243. سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 71. وانقطعت أخبار طارق بعد وصوله بلاد الشام، والراجح أنه اعتزل العمل السياسي والعسكري وتفرغ للعبادة.

(13) طنجة : مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، فيها آثار كثيرة للأول، وقصور وأقباء، وكان فيها ماء مجلوب، وبخارجها عين ماء طيب يسمونه برقال، وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلا، وطنجة أخر حدود إفريقية من المغرب، وبينها وبين القيروان ألفا ميل، وقد فتحها طارف بن زياد، بأمر من قائده موسى بن نصير، وهي قصبة بلاد المغرب. للمزيد راجع : الحميري : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري)، ت أواخر القرن التاسع الهجري، (15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د / إحسان عباس، الناشر مكتبة لبنان، 1974مـ ص 395، 396. ياقوت الحموي : (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)، ت 626 هـ، 1229م، معجم البلدان، الناشر دار صادر، بيروت، 1397هـ، 1993م، الطبعة الأولى، ج4، ص 49، هامش (1).

(14) مجهول : أخبار مجموعة، ص 51.

(15) مجهول : نفس المصدر، ص 52. وللمزيد حول قصة ابنة يليان الفتاة فلورندا، والتي كانت السبب فى مساعدة ابيها للمسلمين في فتح الأندلس راجع :- شافع : (راوية عبدالحميد شافع)

، المرأة في المجتمع الأندلسي، من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (92 - 422 هـ) -(711 – 1031 م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2006م، الطبعة الأولى، ص 36، هامش (1).

(16) طريف بن مالك : هو أبو زرعة طريف بن مالك : قاد أول سرية استطلاع عسكرية إلى شبه الجزيرة الأيبيرية Wenceslao Segura : Inicio de La Invasion Arabe de Espana, Al (Gonzalez) Qantir Monografias Sobre La Historia de Tarifa, Numero 10, Ano 2010, P 65 ويذكر الأستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي، عن طريف ويقول : '' يراه البعض عربيا يمنيا، ويسمونه بالمعافري، وإن كانت الغالبية ترى أنه كان من البربر هذا ويرد اسمه في المصادر المسيحية على شكل Tarif Abenzarca. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، ص 57، هامش (2). Alfonso El Sabio : Primera Cronica de Espana, Tomo 1, Madrid 1955, P 308. ويذكره صاحب أخبار مجموعة، بأنه من موالى موسى. مجهول : أخبارمجموعة، ص 52. أما ابن خلدون ونقل عنه المقري، فقد ذكرا أنه ينسب الى النخع ويسمياه طريف بن مالك النخعي، والنخع بطن من مذحج، وهي قبيلة عربية من القبائل الكهلانية. للمزيد راجع : ابن خلدون : كتاب العبر، الناشر دار الفكر ، بيروت، 1408 هـ، 1988م، الطبعة الثانية، ج4، ص 148. المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 233. أرسلان : (شكيب أرسلان)، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، تحقيق خليل شحادة، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، الطبعة الثانية، ص 86. وقد '' نسبت اليه جزيرة طريف على البحر الشامي '' للمزيد راجع، الحميري : الروض المعطار، ص 392.

(17) مجهول : أخبار مجموعة، ص 52.

(18) مجهول : نفس المصدر، ص 60.

(19) إشبيلية : '' مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي ومعناه المدينة المنبسطة ويقال أن الذي بناها يوليش قيصر '' أي يوليوس قيصر. للمزيد راجع : الحميري : الروض المعطار، ص 58، 59، 60.

(20) للمزيد راجع : مجهول : أخبار مجموعة، ص 60، 61.

(21) Leve Provencal : L Espagne Musulmane au Xeme Siecle, Institutions Et Vie Sociale Paris, 1932, P p.

(22) المقري التلمساني : (أحمد بن محمد المقري التلمساني)، (986 - 1041 هـ) - (1578 – 1631 م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع فهارسه الاستاذ الدكتور / إحسان عباس، ثمان مجلدات، المجلد الأول، دار صادر، لبنان، بيروت، 1388 هـ، 1968 م، ج1، ص 259. مؤنس : فجر الأندلس، ص 125، 126.

(23) وهؤلاء العشرة هم البطار إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم، وحبان بن أبى جبلة، وعبدالله بن يزيد المعافرى، وسعيد بن مسعود التجيبي، وطلق بن جنان أو أبو جنان الفارسي، وأبو سعيد جعثل بن عمير، واسماعيل بن عبيدالله الأنصاري، وأبو ثمامة بكر بن سوادة

الجذمي، وعبدالرحمن بن رافع التنوخي، وموهب بن حي المعافري. ويذكر أبو العرب : أن هؤلاء العلماء التابعين كانوا من ثقاة الرواة، ومن كبار المراجع لدى المحدثين. : للمزيد عنهم جميعا راجع كتاب، الرقيق القيرواني : (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت 420 هـ، 1029م، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، الناشر دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، طرابلس 1414 هـ، 1994م، ص 22، 23. أبو العرب : (محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي) ت 333 هـ، 945م، طبقات علماء إفريقية، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس، 1968م، ص 86، 87. المالكي : (أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالله المالكي)، ت بعد ستة 453 هـ، 1061م، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، 1951م، من ص 56 الي ص 76.

(24) إسماعيل بن عبيد الله : هو أبي المهاجر الإمام الكبير أبو عبد الحميد الدمشقي القرشي مولى بنى مخزوم، (ت 132 هـ - 750م)، كان معلما ومفقها لأولاد الخليفة عبدالملك بن مروان، وهو من ثقات العلماء. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، الطبقة الثالثة، ج5، ص 213. ولاه عمر بن عبدالعزيز لزهده وعدله، حيث رفض أن يقسم على أموال الجباية التي أتي بها الوفد للخليفة سليمان بن عبدالملك، وكان عمر من الحاضرين، فعندما تولى الخلافة عينه واليا على إفريقية. للمزيد راجع : مجهول : أخبار مجموعة، ص 62، 63. وكان فقيها صالحا فاضلا . الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية، ص 22.

(25) حبان بن أبي جبلة : ذكر ابن بشكوال أنه مولى قريش، ويكنى أبا النضر، وذكره أبو العرب محمد بن تميم في تاريخ إفريقية، وقال : حدثني فرات بن محمد أن عمر بن عبدالعزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية منهم حبان بن أبى جبلة، روى عن عمرو بن العاص وعبدالله بن عباس، وابن عمر، رضي الله عنهم، ويقال توفي بإفريقية سنة اثنين وعشرين ومائة، وقيل سنة خمس وعشرين ومائة، أبو العرب : تاريخ علماء إفريقية، ص 86. وذكر ابن الفرضي أنه غزا مع موسي بن نصير حين افتتح الأندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفي به. ابن الفرضي : (أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن الفرضي) ت 403 هـ - 1013 م، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس، طبعة مصر، 1954 م، ج1، ص 146. المالكي : رياض النفوس، ص 73. ابن حجر العسقلاني : (أبو الفضل الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني)، ت 852 هـ - 1449 م، تهذيب التهذيب، مطبعة حيدر آباد الدكن، 1325 – 1327 هـ، ج1، ص 162.

(26) قرقشونة : Carcassonne، ظهرت هذه المدينة مع بدايات الجهاد الإسلامي في غالة من أراضي إفرنجه (فرنسا حاليا)، وكانت غالة قد انقسمت عقب سقوط الدولة الرومانية إلى عدة ولايات منها ولاية سبتمانيا أي المشتملة على سبعة مدن، منها قرقشونة. سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 137. وقد بدأ السمح غزواته قبل أن يستشهد بالإستيلاء على أربونة Narbonne. سالم : نفس المرجع، والصفحة. أما مدينة قرقشونة فقد أفتتحها الوالي الأندلسي عنبسة بن سحيم الكلبي، (ت 107 هـ - 725م) عنوة. : Leve Provecal OP, Cit, P 58.

(27) المقري : نفح الطيب، ج1، ص 278.

(28) سليمان بن عبدالملك : هو سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن العاص. الزبيري : (مصعب بن عبدالله بن ثابت الزبيري)، ت 156 - 236 هـ، 773 - 851 م، نسب قريش، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص 173. يكنى أبا أيوب. ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم)، ت 681 هـ، 1282 م، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1972م، الطبعة الأولى، ج2، ص 420. ولد بالمدينة المنورة سنة 54 هـ، 674م. ابن كثير : (أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، ت 774 هـ، 1372 م، البداية والنهاية، مكتبة دار المعارف، مصر، 1413 هـ، 1991 م، الطبعة الأولى، ج12، ص 638. في عهد معاوية بن أبي سفيام مؤسس الدولة الأموية. Kennedy : Hugh N : Al – Walid 1, The encyclopedia Of Islam, New Edition, Volume, W, Z, Leiden, 2002, P 127, 128. ، تولى الخلافة بعهد من أبيه عبدالملك بن مروان بعد أخيه الوليد، وفي خلافته أخذ البيعة لولده أيوب سنة 96 هـ (714 - 715م)، ولكن أيوب توفي سنة 99 هـ (717 - 718 م)، بالطاعون، فاشتد حزن سليمان عليه كثيرا، ومات بعده ب 42 يوما فقط.) ابن عساكر : (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن عساكر الدمشقي) ، ت 517 هـ، 1176 م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق / عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ، 1995م، ج 10، ص 103، 104. كان من أبرز صفاته التى تناقلتها معظم المصادر الإسلامية، أنه كان أكولا، عرف عنه الشراهة الشديدة في تناول الطعام، حتى اسرفت العديد من المصادر في وصف هذه العادة لديه. للمزيد راجع : ابن فضل الله العمري : (شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى العمري)، ت 749 هـ، 1349م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المكتبة الشاملة، المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى، ج 24، ص 405، 408، 409. الذهبي : سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، الطبعة الثانية، ج5، ص 111، 113. توفي سنة 99 هـ (717م)، بمرج دابق، وقيل في أسباب وفاته من الإسراف في تناول الطعام، أو كمدا على ولده أيوب. الصلابي : (علي محمد الصلابي)، الدولة الأموية عوامل الإزدهار والإنهيار، دار المعرفة، بيروت، 2008م، الطبعة الثانية، ص 95، 97.

(29) محمد بن يزيد : تولى إفريقية (79 – 99 هـ) – (716 – 719 م)، من قبل الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك، وقد تميزت فترة حكمه بحسن السيرة واعتدال السياسة وهدوء الأحوال، وتولى إفريقية عقب مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير في الأندلس، ويطلق عليه صاحب أخبار مجموعة إسم عبدالله بن زيد مجهول : أخبار مجموعة، ص 62. وهو خطأ والصحيح محمد بن يزيد، ويقول عنه لا إدري لمن من قريش كان واليا مجهول : نفس المصدر والصفحة. وطلب منه سليمان بن عبدالملك بعد أن أمره على إفريقية، بأن يتولى أيضا أمر الأندلس ومدينة طنجة، وطلب منه محاسبة قتلة عبدالعزيز بن موسى بن نصير، وأن يتشدد معهم في القصاص لعبدالعزيز، وأن يرسل اليه كبار القادة ومن شاركهما من وجوه الناس، ثم ما لبث أن مات سليمان، وتولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة فعزل والى

إفريقية محمد بن يزيد، وولاها إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم، الذي كان يعرف بتاجر الله لتقواه وزهده. مجهول : نفس المصدر، والصفحة، وهامش (2). وقد رشحه رجاء بن حيوة الكندي للخليفة سليمان بن عبدالملك، ودار بينه وبين سليمان حوارا طويلا، أهم ما جاء فيه طلب الخليفة منه تصفية عائلة آل موسى بن نصير في بلاد المغرب، وكانت ولايته سنتين وأشهرا. للمزيد راجع :- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، ص 58، 59، 60.

(30) رجاء بن حيوة الكندي : هو رجاء بن حيوة بن جندل بن إمرىء القيس الكندي، ينسب الى قبيلة كندة، من كبار التابعين، ولد بمدينة بيسان الفلسطينية، كان مصاحبا للخليفة عمر بن عبدالعزيز، وبعد وفاته لم يصاحب أحدا غيره. الأصبهاني : (أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسي بن مهران) ت 430 هـ - 1039 م، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر مطبعة السعادة، مصر، 1394 هـ، 1974م، ج5، ص 170. هو الذي أشار على الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك باختيار عمر بن عبدالعزيز خلفا له. ابن حبان : (أبو حاتم محمد بن حبان معاذ بن معبد البستي)، (270 – 354 هـ) – (884 – 965 م)، مشاهير علماء الأمصار، وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق / مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1411 هـ، 1991 م، الطبعة الأولى، ج1، ص 117. ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسي بن نصير وأصحابه، وأنه من جملة التابعين، ذكره ابن بشكوال في مجموعه المترجم ب '' التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين ''، وقال عنه ابن الآبار '' رجاء بن حيوة مذكور من الذين دخلوا الندلس من التابعين ،، ابن الآبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي) ت 658 هـ، 1260م، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق / عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ج1، ص 233. المقري : نفح الطيب، ج3، ص 10.

(31) البلاذرى : فتوح البلدان، ص 233. ابن عبد الحكم : (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) ت 257 هـ، 871م، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق / عبدالله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م، ص 87. ابن الآبار : (أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعي) ت 658 هـ، 1260م، الحلة السيراء، تحقيق د/ حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ج2، ص 335. الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، ص 97. ابن عذارى : (أبو عبدالله محمد بن عذاري المراكشي)، عاش حتى 712 هـ، 1312 م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة / ليفي بروفنسال، وكولان، المكتبة الأندلسية، وقم (4)، دار الثقافة، بيروت، 1967م، الطبعة الأولى، ج1، ص 48.

(32) البلاذري : نفس المصدر، ص 233.

(33) المقري : ج1، ص 249.

(34) ابن قطيبة : نبذة من الرسالة الشريفية، نشرت مع كتاب ابن القوطية، تحقيق /عبدالله أنيس الطباع، ص 206، 207. المقري : نفح الطيب، ج1، ص 299.

(35) المقري : نفس المصدر، ج1، ص 235.

(36) Provencal : Op, Cit. P 202.

(37) مجهول : أخبار مجموعة، ص 62، 63.
(38) ابن قطيبة : الرسالة الشريفية، ص 207، 208. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص 623.
(39) مجهول : نفس المصدر، ص 63.
(40) مجهول : نفس المصدر، والصفحة.
(41) مجهول : نفس المصدر، والصفحة.
(42) المقري : نفح الطيب، ج1، ص 153.
(43) ابن قطيبة : الرسالة الشريفية، ص 206، 207.
(44) مجهول : أخبار مجموعة، ص 63. ابن قطيبة : نفس المصدر، ص 210، 211. ابن عذارى : البيان المغرب، ج2، ص 26.
(45) ابن عذاري : نفس المصدر، ج2، ص 26. ابن خلدون : تاريخ العبر، ج 7، ص 390، 391.
(46) ابن الأثير : ج4، ص 159، 160. ابن خلدون : العبر، ج3، ص 145.
(47) ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس، ص 39.
(48) حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص 137.
(49) ابن عذارى : البيان المغرب، ج2، ص 26.
(50) ابن قطيبة : الرسالة الشريفية، ص 208.
(51) مجهول : أخبار مجموعة، ص 24، 25.
(52) للمزيد حول هذا الموضوع، راجع : ابن عذاري : البيان المغرب، ج2، ص 26، وص 220.